الاثنين 23/12/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة تفسير جزء قد سمع

سورة المجادلة (1)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

نبدأ اليوم مستعينين الله تعالى تفسير السورة الأولى من جزء قد سمع وهي سورة المجادِلة ومطلعها

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 1-4].

سمي الجزء الثامن والعشرين بجزء (قد سمع) أخذاً من بداية هذه السورة.

وفي مطلع هذه السورة فوائد كثيرة:

1- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلَ شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي وَانْقَطَعَ لَهُ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ** [الحاكم وابن ماجه والنسائي].

عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [البخاري].

إذا كان الله يسمع فسيحكم، وإذا حكم الله فسيحاسب، وإن اسماً من أسماء الله السميع.

- من خلى بشريكه ليتحدثا فليعلما أن هناك ثالث يسمعهما وهو الله تبارك وتعالى.
- من خلت بابنتها لتؤلبها على زوجها فليعلما أن الله يسمعكما.
- من بَيَّتَ مع أحد خيراً أو شراً فليعلما أن الله يسمعهما.

قال العلماء: الله سميع يسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء.

أنشد أحد الصالحين يقول:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعَدُّ لكل ما يُتوقع

قال العلماء: **الكلام أربعة:**

أ. **الجهر**: وهو الحديث الذي تسمعونه الآن.

ب. **النجوى**: هو حديث اثنين لا يسمعهما أحد.

ت. **السر**: الحديث الذي لا يسمعه منك أحد.

ث. **الأخفى**: هو السر الذي ستخفيه بعد حين.

- ترى صديقاً يخبر صديقه قبل زواجه بأن يخيف زوجته من أول يوم حتى يضمن طاعتها بعد ذلك والله يسمع هذا الكلام.
- يأتي تاجر عقارات ليقنع الابن الوارث بأن يبيعه البيت بأقل مما هو عليه ويأخذا الفرق بينهما مناصفة والله قد سمع هذا الكلام.
- يتصل بالمحامي ليقدم له أوراقاً مزورة ليثبتها له فيقبل والله يسمع تحاورهما.

2- ﴿قَدْ سَمِعَ﴾.

قَدْ: تفيد التحقيق إذا تبعها فعل ماض، أما إذا تبعها فعل مضارع فهي تفيد التقليل.

عن أَبِي يَزِيدٍ الْمَدَنِيِّ قَالَ: **لَقِيَتِ امْرَأَةٌ عُمَرَ، يُقَالُ لَهَا: خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ –وَهُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّاسِ– فَاسْتَوْقَفَتْهُ، فَوَقَفَ لَهَا وَدَنَا مِنْهَا وَأَصْغَى إِلَيْهَا رَأْسَهُ، حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا وَانْصَرَفَتْ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَبَسْتَ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ؟، فَقَالَ: وَيْلَكَ**

وَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: (هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللَّهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، هَذِهِ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَنْصَرِفْ عَنِّي إِلَى اللَّيْلِ مَا انْصَرَفْتُ عَنْهَا حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا، إِلَّا أَنْ تَحْضُرَ صَلَاةٌ فَأُصَلِّيَهَا، ثُمَّ أَرْجِعَ إِلَيْهَا حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا) [الرد على الجهمية للدارمي، والأسماء والصفات للبيهقي].

- يأتي أحدهم ليقول: إذا غضبت لا أفرق بين أحد.
- تجد الله يأمره بالصلاة وهو لا يصلي.

فكم من فرق بين إيمان سيدنا عمر رضي الله عنه وبين من أخذ الإيمان وراثة عن أبيه وجده.

3- أحياناً يقع بيننا حوار وجدال وربما لا يستطيع بعضنا أن يعبر عما يريد فعلمتنا السيدة خولة أن تشكو أمرك إلى الله فكلما ضاق بك أمر لا تجد له حلاً، فالجأ إلى باب الذي لا يغلق بابه فاشكو أمرك إليه.

سيدنا يعقوب بحث عن ابنه وأرسل من يبحث عنه ثم ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86].

عائلة ذات أدب ودين وخلق عال جداً غير أن فيهم أخ يوقعهم بحرج شديد من كثرة تفلته وذهابه باتجاهات لا ترضي ديناً ولا عقلاً ولا أخلاقاً.

يقول أخ له: ذهبت مع أبي إلى العمرة فكان والدي طول عمرته في دعاء لأخي هذا باكياً ملتجئاً متدخلاً على الله، وبعد أن عدنا من عمرتنا بوقت لاحظنا أن أخي يقوم بعادة غريبة وهي الدخول إلى غرفته ليقفل على نفسه الباب فلما راقبناه تبين له أنه يصلي، وبعد أيام صار أخي يحضر الدروس ثم بالصفوف الأولى.

((حكي عَنْ بعض السلف أنه قَالَ لتلميذه: مَا تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قَالَ: أجاهده، قَالَ: فَإِن عاد؟ قَالَ: أجاهده، قَالَ: فَإِن عاد؟ قَالَ: أجاهده، قَالَ: هَذَا يطول، أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أَوْ منعك من العبور مَا تصنع قَالَ: أكابده وأرده جهدي، قَالَ: هَذَا يطول عليك ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك.

قال الشيخ رحمه الله: واعلم أن مثل إبليس مَعَ المتقي والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام فمر به كلب فقَالَ لَهُ أخسأ فذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أحساه لم يبرح فالأول

مثل المتقي يمر به الشَّيْطَان فيكفيه فِي طرده الذكر والثاني مثل المخلط لا يفارقه الشَّيْطَان لمكان تخليطه نعوذ بالله من الشَّيْطَان)) [تلبيس إبليس لابن الجوزي].

4- حكم الظهار في الإسلام؟

يَحْرُمُ على الإنسان أن يظاهر زوجته، وليس لأحد أن يقول: أنا حر أفعل وأقول ما أريد؛ لأن الحقيقة هي أنك عبد تقول وتفعل ما يأمرك به سيدك.

ما سمي المسلم مسلماً إلا لاستسلامه لأوامر الله سواء في رضاه أو سخطه، أو في الأزمة أو خارجها، أو في غنى أو فقر، أو في مرض أو عافية.

هُزِمَ المسلمون في غزوة أحد وكان منهم سبعين شهيداً من الصحابة وجُرِحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَكُسِرَتْ رباعيته الشريفة مع أنهم كانوا خير القرون وخير الأصحاب ومع خير الأنبياء ((ليستخرج الله عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقاً، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية)) [زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية].

فإذا كنت ملتزماً أمر الله في السراء وغير ملتزم في الضراء فهذا دليل على مرض يحتاج إلى علاج يكون بـ:

1- **الإكثار من ذكر الله تعالى**: فذكر الله يصقِّي لك قلبك لترى الأمور كما هي عليه لكن إذا ذهب الذكر فسيغشى عليه (**الران**) ليرى الأمر على غير ما هي عليه كمن أصيب بالزكام فيذوق الماء ليجده مراً.

على كل أخ أن يكون له في كل يوم نصف ساعة يخلو بها ليذكر اسم الله تعالى مكرراً اسمه الأعظم الله.. الله.. على لسانه وعلى قلبه مستشعراً أنه جالس مع الله تعالى.

اقرأ الأوراد التي جاءت عن رسول اله صلى الله عليه وسلم في الصباح والمساء.

2- **حضور مجالس العلم**: فالعلم يكشف لك الطريق.

3- **صحبة الصالحين**: فإذا كان أصحابك يأتمرون بأمر الله على كل حال فستكون مثلهم.

جاءني رجل في الأربعين من العمر يبكي؛ لأنه طلق زوجته للمرة الأولى مع أنه لا يحب هذه الكلمة وموضوع الطلاق غير موجود في عائلته مطلقاً، فلما تابعنا الأمر وجدنا أنه يجلس مع أصحاب لهم كان أحدهم كثيراً ما يحلف بالطلاق.

- لا يجوز لأحد أن يقول أو يفعل مع زوجته ما شاء، والدليل هو ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ .

وَزُورًا: أي كذباً عظيماً منكراً، لكن من رحمة الله علينا أنه عفو غفور.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قبل أن يباشر الرجل زوجته عليه أن يحرر رقبة، فإذا فُقِدَ الرقاب فعليه صيام ستين يوماً متتابعة، أما لو أفطر بأحدهم فعليه الإعادة من البداية، فمن لم يستطع لمرض أو ضعف أطعم ستين مسكيناً.

قال الفقهاء: من ظاهر زوجته فلا تَطْلُقُ منه وحَرُمَ عليه قربانها حتى يُكَفِّر، فإن لم يُكَفِّر منعت نفسها منه ورفعت أمرها إلى القاضي ليأمره بالتَّكْفير فإن أبى أمره بطلاقها.

كل هذه الأحكام ليحافظ الإسلام على الأسرة، ويُعَرِّفَنَا مكانة أزواجنا، غير سامح لنا أن نتلاعب بالأعراض.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**» [البخاري].

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.